حتى انه من كان بهذه المثابة من الفكرة في الموت فغايته ان حصل له استعداد البهايم وهو ثناء على من حصل
في هذا المقام وارتفاع في حقه فكيف تنظر البهايم دون الانسان في الاحتقار وغاية الثناء
عليك من الله ان تشاركها في صفتها فاشحذ فؤادك وقل رب زدني علما فان لله في خلقه اسرارا ولذلك
خلقكم اطوارا واعلم ان البهايم وان كانت مسخرة مذللة للانسان فلا تغفل عن كونك مسخرا لها
ما تقوم به من النظر في مصالحها في سقيها واطعامها وتعاهدها وتنظيف اماكنها ومباشرتك القاذورات
والازبال من اجلها ووقايتها من الحر والبرد المؤذيين لها فهذا وامثاله من كون الحق سخرك لها وجعل في
نفسك الحاجة اليها فانها التي تحمل اثقالك الى بلد لم تكن تبلغه الا بنصف ذاتك وهو شق الانفس اي ما
كنت تصل اليه الا بالوهم والتخيل لا بالحس الا بوساطة هذه المراكب فلا فضل لك عليها بالتسخير
فان الله احوجك اليها اكثر مما احوجها اليك الا ترى غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سيل
عن ضالة الابل كيف قال ما لك ولها معها حذاؤها وسقاؤها ترد الماء وتاكل الشجر حتى يجدها ربها فما
جعل لها اليك حاجة وجعل فيك الحاجة اليها وجميع البهايم تفر منك ستر لها آلة الفرار وما هذا الا
لاستغنايها عنك وما جبلت عليه من العلم بانك ضار لها ثم طلبك لها وبذلك مجهودك
في تحصيل شيء منها دليل على افتقارك اليها فبالله من تكون البهايم اغنى منه كيف يحصل في نفسه انه
افضل منها صدق القايل ما هلك امرؤ عرف قدره فوالله ما يعرف الامور الا من شهدها ذوقا وعاينها كشفا
لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها ما وصل اليك خبر الفيل ومن حبسه وامتناعه
من القدوم على خراب بيت الله ما بلغك ما فعلت الطير باصحاب الفيل وما رمتهم به من الحجارة التي لها
خاصية في القتل دون غيرها من الاحجار اترى يصدر ذلك منها من غير وحي الهي اليها بذلك فكم من قبيل
كان في العالم وكم من اصحاب غزاة كان في العالم لما ظهر مثل هذا الامر في هولاء وما ظهر في غيرهم وهل يوحي
الله لمن لا يعقل عنه وهل قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم هل ذلك الا ليفهموا
لتقوم عليهم الحجة اذا خالفوا ويعلموا بما فهموا فيسعدوا وهل سمعت في النبوة الاولى والثانية قط ان حيوانا
اوشيا من غير الحيوان عصى امر الله او لم يقبل وحي الله اين انت من فرار الحجر بثوب موسى حتى برئ لقومه
سوءته ليعلموا كذبهم فيما نسبوه اليه وبراه الله مما قالوا اترى فرار الحجر هل كان عن غير امر الله له بذلك
اترى اباية السماء والارض والجبال عن حمل الامانة واشفاقهم منها عن غير علم بقدر الامانة وما يؤول اليه

امرُ

امر من حملها فلم يحفظ حق الله فيها وعلمهم بالفرق بين العرض والامر فلما كان عرض تخيير احتاطوا
لانفسهم وطلبوا السلامة ولما امرهم الحق تعالى بالاتيان فقال للسماء والارض ائتيا فقالتا اتينا طايعين
طاعة لامر الله وحذرا ان يؤتى بهما على كره اترى لو نزل القرآن على جبل لخشع وتصدع من خشية اترى ذلك
منه عن غير علم بقدر ما انزل الله عليه وما خاطب به من التخويفات التي تذوب لها صم الجبال الرواسي كم
يبين الله لنا في رسوله ما هي المخلوقات عليه من العلم بالله والطاعة والقيام بحقه ولا نؤمن ولا نسمع
ونتاول ما ليس الامر عليه لنكون من المؤمنين ونحن على الحقيقة من المكذبين ورجحنا حسنا على الايمان بما
عرفنا به ربنا لما لم نشاهد ذلك مشاهدة عين واعلم انه من علم ان الموجودات كلها ما منها الا من هو حي
ناطق او حيوان ناطق المسمى جمادا او نباتا او ميتا لانه ما من شيء من قايم بنفسه الا وهو يسبح ربه بحمده
وهذا نعت لا يكون الا لمن هو موصوف بانه حي ومن كان هذا مشهده من الموجودات استحى كل الحياء
في خلوته التي تسمى خلوة في العامة كما يستحي في جلوته فانه في جلوة ابدا لانه لا يخلو عن مكان يقله وسماء تظله
ولو لم يكن في مكان لاستحى من اعضايه فانه لا يفعل ما يفعل الا بها فانها آلاته وانها الابدان تستشهد
فتشهد ولا يستشهد الله الا عدلا فصاحب هذا الحال لا يصلح ان يكون في خلوة ابدا ومن كان هذا حاله
فقد لحق بدرجة البهايم والدليل على ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكر في الصحيح ان للميت خوارا
وان السعيد منهم يقول قدموني قدموني يعني الى قبره وان الشقي منهم يقول الى اين تذهبوا بي واخبر انه يسمع
ذلك كل شيء الا الانس والجن فدخل تحت قوله كل شيء مما يمر عليه ذلك الميت من جماد ونبات وحيوان وثبت
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان راكبا على بغلة فمر على قبر فبقرت البغلة فقال انها ذات صاحب هذا
القبر يعذب في قبره فلذلك نفرت وقال في ناقته لما هاجر ودخل المدينة ترك زمامها فاراد بعض
الصحابة ان يمسكها فقال دعوها فانها مامورة ولا يؤمر الا من يعقل حتى بركت بنفسها عند دار ابي ايوب
الانصاري فنزل به وقال في الصحيح ان المؤذن يشهد له مدى صوته من رطب ويابس وهذا كله معاين لكل
شيء ولا يشهد هذا من الانس والجن الا افراد من افراد هذين النوعين فان الجن حيوان ناطق الا انه اختص بهذا
الاسم لاستتاره فهم مع الانس كالظاهر من الانسان وحده مع باطنه وكذلك قال تعالى في غير هذين النوعين
وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم والامثال هم الذين يشتركون في صفات
النفس فكلهم حيوان ناطق ثم قال تعالى فيهم ثم الى ربهم يحشرون انتم وهو قوله تعالى واذا الوحوش حشرت

Copyright © King Saud University